

الاتّجاه التوفيقيّ عند العلماء المسلمين الكونفوشيوسيين في القرن السابع عشر
The Syncretic Approach of Muslim Confucian Scholars in the 17th
Century



* Ma Yuxian

جامعة شمال غرب الصين للمعلّمين - الصين

alao19800@gmail.com

Jin Yan

جامعة شمال غرب الصين للمعلّمين - الصين

792635387@qq.com

تاريخ الاستلام: 2025/08/23 تاريخ القبول 2025/11/22 تاريخ النشر 2026/06/08



ملخص:

إنّ جهود العلماء المسلمين الكونفوشيوسيين لها شأن عظيم في مجال الدراسات الإسلامية في الصين، حيث كشفت أبحاثهم الذي حاولوا من خلاله تحقيق التوازن بين الثقافة الإسلامية والثقافة الكونفوشيوسية في الظروف الثقافية الخاصة، ودارستها تحمل فوائد كثيرة في تطوير وتعزيز التبادلات الثقافية في هذا العصر، لذلك يهدف البحث إلى بيان مصطلح غير معروف في العالم الإسلامي، ألا وهو: "العلماء المسلمون الكونفوشيوسيون" وتبسيط الضوء على أبحاثهم التوفيقية والمسائل التي ترجمت هذا الاتّجاه، تمّ ذلك من خلال دراسة الأوراق العلمية دراسة استقرائية تحليلية من المؤلفات القديمة والمقالات العلمية، فتوصّل البحث إلى أنّ

* المؤلف المراسل

يعلن المؤلف أنّ هذه المقالة حصلت على دعم مالي من الصندوق الوطني للعلوم الاجتماعية في الصين تحت مشروع رقم BZX23057 كنتيجة علمية مرحلية.

الظروف التي كان المسلمون في الصين يعيشونها في أواخر القرن السابع عشر وما بعده من الزمان، كانت حافزة لدفع العلماء المسلمين آنذاك الذين أصبح لهم قدم راسخ في الثقافتين الكونفوشيوسية والإسلامية والذين سُمّوا بـ "العلماء المسلمون الكونفوشيوسيون" في قطاع الدراسات العلمية الصينية، إلى حماية المسلمين في الصين من الانحرافات العقدية والانحدار الثقافي، فقاموا في سبيل ذلك بالترجمات والتأليفات باللغة الصينية مع توظيف بعض المصطلحات والأفكار الكونفوشيوسية للتوفيق بين الثقافة الكونفوشيوسية والثقافة الإسلامية ولتقريب الأفكار الإسلامية إلى فهم أبناء الصين الذين تعدّ عليهم فهمها باللغة العربية.

الكلمات المفتاحية: الثقافة الإسلامية، والثقافة الكونفوشيوسية، العلماء المسلمون الكونفوشيوسيون، الاتجاه التوفيقي، القرن السابع عشر.

Abstract:

The efforts of Muslim Confucian scholars hold a great significance in the field of Islamic studies in China. Their approach, which sought to achieve a balance between Islamic and Confucian cultures in the unique cultural circumstances, and their research, which carried many benefits for the development and enhancement of cultural exchanges in this era, aim to clarify an unknown term in the Islamic world, namely: "Muslim Confucian scholars." This study sheds light on their reconciliatory approach and the issues that translated this approach. This was done through a deductive and analytical study of ancient works and scientific articles. The research concludes that the circumstances under which Muslims lived in China during the late 17th century and thereafter served as a motive for the Muslim scholars of that time, who had firmly established themselves in both Confucian and Islamic cultures and were known as "Muslim Confucian scholars" in the field of Chinese scientific studies, to protect the Muslims in China from heretical deviations and cultural decline. To this end, they engaged in translations and compositions in the Chinese language, employing some Confucian terms and ideas for the reconciliation between Confucian and Islamic cultures, and to bring Islamic ideas closer to the understanding of the Chinese children who found it difficult to understand them in Arabic.

Keywords: Islamic Culture, Confucian Culture, Muslim Confucian Scholars, Reconciliatory Approach, 17th Century.

مقدّمة:

الحمد لله الذي أنزل القرآن بلسان عربي مبين هدى للمتّقين، وأرسل رسوله الكريم رحمة للعالمين وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على خير خلقه محمّد بن عبد الله المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإنّ الله تعالى اصطفى الإسلام للنّاس ديناً، وأرسل رسوله المصطفى ليبلّغه بلاغاً مبيناً، فأدّى أمانته أداءً حسناً، وجاهد في سبيل نشره من اتّبعه بإحسان في أرجاء العالم حقّ الجهاد، عملاً بقوله صلّى الله عليه سلّم "بلغوا عني ولو آية"، ومن هؤلاء المجاهدين الرّبّانيين زمرة من العلماء المسلمين الكونفوشيوسيين في القرن السابع عشر، صرفوا أقصى جهودهم في سبيل نشر الإسلام بين أبناء المسلمين وحمائهم من الانحرافات في العقيدة والسلوك، حين تعدّروا عليهم فهم القرآن الكريم والحديث الشريف بواسطة اللغة العربية بسبب تجنّبهم عنها مع تقادم الزمان وظهرت عليهم آثار الانحراف عن الدين الحقّ، فكانوا شقّوا طريقاً لنشر الإسلام، سُمّي فيما بعده من الأيّام بـ"التّوفيق بين الإسلام والكونفوشيوسية"، وحظي باهتمام من العلماء المسلمين في الصين ومن بعض العلماء في عالم الغرب، فدرسوه منهجاً وتأثيراً دينياً، ولكنّه فيما أعلم مستور بستر الغفلة أو عائقة اللغة في عالم العرب، فلعلّ هذا البحث يكشف ستره أمام علمائه، فيحظى من المتخصّصين منهم بما يستحقّه من الاهتمام.

للوّصول إلى نتيجة علمية سليمة اقتضت طبيعة البحث الوقوف على ما يلي:

أولاً: مشكلة البحث

يبيّن هذا البحث الاتجاه التّوفيقيّ عند العلماء المسلمين الكونفوشيوسيين في القرن السابع عشر من خلال الإجابة على الأسئلة الآتية:

* ما مفهوم الاتجاه التّوفيقيّ عند العلماء المسلمين الكونفوشيوسيين في القرن السابع

عشر؟

* من العلماء المسلمون الكونفوشيوسيون في القرن السابع عشر الذين ظهر عندهم الاتجاه التوفيقيّ؟

* ما الذي دفع العلماء المسلمين الكونفوشيوسيين في القرن السابع عشر إلى الاتجاه التوفيقيّ؟

* ما أهمّ المسائل التي اهتمّ بها العلماء المسلمون الكونفوشيوسيون في القرن السابع عشر والتي تظهر فيها معالم الاتجاه التوفيقيّ؟

ثانيًا: أهمية البحث

تبيّن أهمية هذا البحث من خلال بيان مفهوم الاتجاه التوفيقيّ عند العلماء المسلمين الكونفوشيوسيين في القرن السابع عشر ومظاهره وتعريف أشهر العلماء، لعلّه يفتح أمام العلماء المسلمين في عالم العرب نافذة لاطّلاعهم على جهود العلماء المسلمين في نشر الإسلام في الصين وأسلوبهم، بحيث تحظى باهتمام من قبل المتخصّصين لنشر صحيحها وتصحيح انحرافها.

ثالثًا: أهداف البحث

* بيان مفهوم الاتجاه التوفيقيّ عند العلماء المسلمين الكونفوشيوسيين في القرن السابع عشر.

* تعريف أشهر العلماء المسلمين الكونفوشيوسيين الذين ظهر عندهم الاتجاه التوفيقيّ؟

* بيان أسباب نشأة الاتجاه التوفيقيّ عند العلماء المسلمين الكونفوشيوسيين في القرن السابع عشر.

* بيان المسائل التي تُظهر معالم الاتجاه التوفيقيّ عند العلماء المسلمين الكونفوشيوسيين في القرن السابع عشر.

رابعًا: منهج البحث

اتّبع الباحث في هذا البحث منهجين:

- * المنهج الوثائقيّ، وذلك من خلال استقراء المؤلّفات المختلفة للوقوف على القضايا التي اتهمّ بها أعلام القرن السابع عشر والتي تُظهر معالم الاتجاه التوفيقيّ.
- * المنهج التحليلي، وذلك من خلال تحليل أقوال العلماء للوصول إلى مفهوم الاتجاه التوفيقيّ وأسباب نشأته.

خامساً: الدراسات السابقة

أثمرت جهود العلماء الصينيين دراسات في هذا المجال، وتحدّث معظمها عن جهود العلماء الصينيين في التوفيق بين الثقافة الإسلاميّة والثقافة الكونفوشيوسيّة، أو دور هذا التوفيق في نشر الإسلام في الصين، ولكن لم أطلع على دراسة قائمة بنفسها تناولت الاتجاه التوفيقيّ عند العلماء المسلمين الكونفوشيوسيين في القرن السابع عشر، ولعلّ أقرب الدراسات إلى هذا البحث:

* البحث بعنوان "دراسة التوفيق بين الثقافة الإسلاميّة والثقافة الكونفوشيوسية، هداية الإسلام أمّودجا" للباحث فونغ وونجيه، وتناول فيه كون عملية التوفيق من أجل تكيّف الثقافة الإسلاميّة مع سياسة أسرة تشينغ.

* البحث بعنوان "نموذج التوفيق بين الثقافة الصينية والثقافة الكونفوشيوسية مدرسة يونان" للباحث ما جيا، وتناول فيه تعريف هذه المدرسة ونشأتها وخصائصها.

* البحث بعنوان "دور مدرسة جين لينغ في التوفيق الثقافة الإسلاميّة والثقافة الكونفوشيوسية" للباحث مي شيو جيانغ، تناول فيه دورها في بناء نظام الخطاب الإسلامي باللغة الصينية وفي تأسيس نظام الفلسفة الإسلاميّة الصينية.

أمّا جهود العلماء في عالم العرب في هذا المجال فلم يبد لي بعد البحث أيّ دراسة أو بحث فيه.

سادساً: خطّة البحث

فُسِّمَ البحث إلى ثلاثة مباحث وفيها مطالب، وهي كما يلي:

المبحث الأوّل: نشأة الاتّجاه التوفيقيّ ومفهوم العلماء المسلمين الكونفوشيوسيين
المطلب الأوّل: أسباب نشأة الاتّجاه التوفيقيّ عند العلماء المسلمين
الكونفوشيوسيين في القرن السابع عشر

المطلب الثاني: مفهوم العلماء المسلمين الكونفوشيوسيين والاتّجاه التوفيقيّ عندهم
المبحث الثاني: أشهر العلماء المسلمين الكونفوشيوسيين في القرن السابع عشر
المطلب الأوّل: نبذة عن حياة وانغ داي يو وجهوده العلمية

المطلب الثاني: نبذة عن حياة ما جوو ودوره العلمي
المطلب الثالث: نبذة عن حياة ليو جي ودوره العلمي
المبحث الثالث: المسائل التي يظهر معالم الاتّجاه التوفيقيّ عند العلماء المسلمين
الكونفوشيوسيين

المطلب الأوّل: بيان أصل الكون
المطلب الثاني: الخمس توحيد بين معنى "السماء" ولفظ الجلالة "الله" وبين معنى
"الحكيم" ومحمد في الإسلام
المطلب الثالث: الاعتراف بكون كونفوشيوس من النبيين
المطلب الرابع: التوفيق بين أركان الإسلام الخمسة وفضائل الكونفوشيوسية سابعاً:
الخاتمة، وفيها أهمّ النتائج والتوصيات

المبحث الأوّل: الاتّجاه التوفيقيّ ومفهوم العلماء المسلمين
الكونفوشيوسيين

يتناول هذا المطلب بيان أسباب نشأة الاتّجاه التوفيقيّ ومفهوم المصطلحين: مفهوم
الاتّجاه التوفيقيّ ومفهوم "العلماء المسلمين الكونفوشيوسيين" حسب ما اصطلح عليه

مجال البحث العلمي في الصين تمهيدا لما يأتي من الحديث.

المطلب الأول: بيان مفهوم الاتجاه التّوفيقيّ والعلماء المسلمين الكونفوشيوسيين

مفهوم الاتجاه التّوفيقيّ في هذا البحث ليس مفهوم الاتجاه التّوفيقيّ في التفسير الذي اصطلح عليه العلماء في عالم العرب، والذي يسعى أصحابه إلى التوفيق بين الإسلام والحضارة الغربيّة ليتقبّل الناس بها، بل يُقصد به في مجال الدراسات الإسلامية في الصين اتّجاه اتّخذ العلماء المسلمون في القرن السابع عشر للتوفيق بين الثقافة الإسلامية والثقافة الكونفوشيوسيّة، وهؤلاء العلماء نشأوا منذ صغرهم في بيئة ثقافية صينية وجمعوا بين إجادة الثقافة الإسلاميّة وإتقان الثقافة الكونفوشيوسيّة والطاويّة والبوذيّة، وكان ذلك من أجل تقريب المفهومات الإسلاميّة إلى أذهان الناس الذين يتعذّر عليهم فهمها بواسطة اللغة العربيّة من خلال بيان معانيها بما يوافقها من المفهومات الكونفوشيوسيّة، أو بما يقاربها من مفهوماتها بعد تضمينها معنى يوافق المفهومات الإسلاميّة، كما كان ذلك لدلالة المسلمين في الصين على طريقة صحيحة في كنيّة انسجامهم مع الأفكار الثقافيّة والنظم السياسيّة والأخلاق الاجتماعيّة السائدة في المجتمع الصيني.¹

يبدو لي بعد دراسة الكتب المتعلّقة بالموضوع أنّ الاتجاه التّوفيقيّ بين الإسلام والكونفوشيوسيّة عند العلماء المسلمين الصينيين في القرن السابع عشر طريقة اتّخذوها لتسهيل المفهومات الإسلاميّة على عامة المسلمين الصينيين لما تعذّر عليهم فهمها بواسطة المؤلّفات باللغة العربيّة فابتعدوا عن التوجيهات الإسلاميّة الصحيحة، وطريقة سلكوها مضطّرين في حالة حماية المسلمين في الصين من الانحراف في الاعتقاد والعبادات والأخلاق، ولكنّهم لم يقصدوا بسلوكها إخضاع الإسلام بما فيه من الأفكار بجميع أنواعها للكونفوشيوسيّة أو لما كان سائدا في المجتمع الصيني من الأفكار المختلفة.

كانت أحوال المسلمين الصينيين في القرن السادس عشر وما بعده سيئة جداً، حيث ابتعدوا عن التوجيهات الإسلاميّة وذابت هويتهم المسلمة في الثقافات الصينيّة على رأسها الثقافة الكونفوشيوسيّة، فأثارت هذه الحالة المؤلّة صحوّة بعض العلماء المسلمين ولفتت اهتمامهم، فهبّ جماعة منهم لإنقاذ المسلمين في الصين، فساروا على الطريقة المذكورة آنفاً، ويُسمّى هذه الجماعة من العلماء المسلمين في قطاع الدراسات العلميّة الصينيّة اليوم بـ "العلماء المسلمون الكونفوشيوسيون". إذًا فإنّهم أولئك العلماء المسلمون الصينيون في القرن السادس عشر وما بعده، والذين نشأوا في بيئة الثقافات الصينية وألموا بها، وتعلّموا العلوم الإسلاميّة وأجادوها فحملوا أمانة نشرها بين أبناء المسلمين، حيث قاموا بشرح الكتب الإسلاميّة على رأسها كتاب الله الكريم باللغة الصينيّة وبتوضيح المفهومات الإسلاميّة باستخدام المفهومات في الثقافات الصينيّة، خاصة مفهومات الكونفوشيوسيّة الجديدة، حتى تقترب تلك المفهومات الإسلاميّة من فهم عامّة الناس، ومن روادهم وانغ داي يو، وما جو، وليو جي.² ستأتي ترجماتهم إن شاء الله تعالى في الصفحات القادمة.

المطلب الثاني: أسباب نشأة الاتّجاه التّوفيقيّ عند العلماء المسلمين في القرن

السابع عشر

مرّ تطوّر الإسلام في الصين في عهد أسر ملكيّة صينيّة مختلفة، حيث بدأ أبناء المسلمين العرب من التجّار والمبعوثين والأسرى يأتون إلى الصين في عهد أسرة تانغ الملكيّة³، فيعيشون فيها ويتناسلون، وهم على قدرة تامّة على فهم الكتب الإسلاميّة والمفهومات الإسلاميّة بواسطة اللغة العربيّة، كذلك وهم في التزام سليم بالتوجيهات الإسلاميّة في الاعتقاد والعبادات وغيرها، ثمّ كثر عددهم في أسرة سونغ الملكيّة⁴ وارتقت مكانتهم الاجتماعيّة، وتشكّلوا تجمّعات سكانيّة في المناطق المختلفة واكتسبوا تأثيرات اقتصاديّة ملحوظة، ولما جاء عصر أسرة يوان الملكيّة⁵ ازداد عدد المسلمين بشكل غير

مسبوق بحيث كان يتردّد على ألسنة الناس "انتشر المسلمون في أراضي الصين في عهد أسرة يوان"، إذ انتقلت إليها كمّيّة هائلة من المسلمين في بلاد العرب والفرس من التّجار والعلماء والمهندسين والأسرى بعد هزيمة الدولة العباسيّة أمام جيش هولاكو خان عام 1258م، ثم أتى عليهم حقبة تاريخيّة احتلّوا فيها مكانة عالية سياسيًا واقتصاديًا، بل علميًا، بحيث كانت رتبهم في إدارة الحكومة دون تربة المنغوليين من سلالة هولاكو. مما يجب الإشارة إليه هنا أنّ المسلمين في الأسرتين المذكورتين سابقا احتفظوا بقدرتهم على فهم المفهومات الإسلاميّة والكتب الدينيّة بواسطة اللغة العربيّة، فلم يظهر عندهم مؤلّف باللغة الصينيّة في غرض شرح المفهومات الإسلاميّة.⁶

لما جاء عصر أسرة مينغ الملكيّة⁷ فقدّ المسلمون ما كانوا يتمتعون به في عهد أسرة يوان من مكانة سياسيّة عالية، ولكنّهم ظلّوا يمتلكون احترامًا وتكرّمًا من قبل الحكومة، إذ ناصرُوا الملك جو يوان جانغ في تأسيس أسرة يوان، فكتب الملك قصيدة مئويّة يثني فيها على الرسول محمد صلّى الله عليه وسلّم، وأصدر مرسومًا ملكيًا لحماية الإسلام وبناء المساجد، ولكنّ أسرة مينغ سارت على سياسة تضيق على قوميّة المنغول وقوميّة هوي اللتين كانتا تتمتّعان في عهد أسرة يوان بمكانة سياسيّة عالية، إذ أنّها لا تؤمن لهم، فحظرت على المسلمين الزواج بين أبنائهم واستخدام اللغة العربيّة وارتداء الملابس الإسلاميّة، تسعى بهذه السياسات إلى تذويب هويّة المسلمين في قوميّة هان واندماج ثقافتهم الإسلاميّة في الثقافات الصينيّة. ثمّ انحطّت أوضاع المسلمين في الصين وتدهورت في نهاية عهد هذه الأسرة تقريبًا، بحيث تلاشت اللغة العربيّة من ألسنتهم فلم يعدوا يستطيعون فهم الهدايا الإسلاميّة من منهلها الأصليّ، فانحرفوا في العقيدة وابتدعوا في العبادات وفقدوا هويتهم الثقافيّة، وهذه الظاهرة لفتت أنظار بعض العلماء المسلمين وأثارت خوفهم على أبناء المسلمين في الصين، فهبّوا لعرض حقيقة الإسلام عليهم باللغة الصينيّة وتوضيح المفهومات الإسلاميّة باستخدام ما يوافقها من المفهومات في الثقافات

الصينيّة، فمن هنا ظهر جماعة من العلماء المسلمين الكونفوشيوسيين، وكانت بدايته في نهاية القرن السادس عشر.⁸

تبيّن بعد دراسة ما توصّلت إليه من الكتب المتعلّقة بنشأة العلماء المسلمين الكونفوشيوسيين أنّ سببها الرئيسيّ يرجع إلى أمرين مهمّين:

أولاً: الغيرة الشديدة على نشر الإسلام وحماية المسلمين من الانحراف

بدأ الإسلام ينحطّ منذ منتصف عهد أسرة مينغ سياسيًا وثقافيًا واقتصاديًا بما تقدّم ذكره من المشكلات السياسيّة والثقافيّة وغيرها، فواجهت المسلمين تحدّيات عظيمة في عقيدتهم وثقافتهم، حيث وردت في السجلات التاريخيّة أوصاف لأوضاع الإسلام والمسلمين في الصين حينئذ، ومنها النص " إنّ بداية دخول الإسلام في الصين غير معلومة، وأصبح العلماء الذين يفهمونه فهمًا نادرين اليوم، فمن تعلّمه تعذّر عليهم فهمه صحيحًا، فظهرت آراء سطحيّة بعيدة عن الحقيقة، ثمّ نقلها جيل من سابقه نقلًا خاطئًا، واختفى الحقّ بين أبناء المسلمين في الصين"⁹، ومنها النص " إنّ الكتب الإسلاميّة نقلت إلى الصين منذ دخول الإسلام في الصين في عهد أسرة تانغ لغاية عهد أسرة مينغ، ولكن تعذّر على المسلمين في الصين فهم ما تحتوي عليه من المعاني والأفكار، فقلّ العلماء الذين فهموا العلوم الشرعيّة، ممّا أدّى إلى انحرافهم عن الحقّ واستغراقهم في الضلال"¹⁰ وغيرها من النصوص الكثيرة بهذا الصدد، تبيّن بعد دراسة هذه النصوص أنّ انحطاط أوضاع الإسلام والمسلمين يظهر في أمور آتية:

أحدها: وقوع المسلمين في الأخطاء والانحرافات في فهم المفهومات الإسلاميّة والضعف الشديد في قدرتهم على بيان معاني الكتاب الكريم والحديث الشريف، وذلك لقلة العلماء الذين يجيدون علم اللغة العربيّة والعلوم الشرعيّة.

الثاني: ابتعاد المسلمين عن الإسلام وتقلّص حادّ في عدد المسلمين المتديّنين، إذ اهتمّ أبناؤهم بالتحلّي بالثقافات الصينيّة اهتمامًا بالغًا، فتخلّوا عن الثقافة الإسلاميّة.

الثالث: عدم أداء أئمة المسلمين أمانتهم في تعليم أبناء المسلمين ودعوتهم إلى الحقّ، إذ إنهم كانوا يسعون إلى تحقيق مصالحهم المادّية مستغلّين بمكانتهم الدينيّة ونسوا ما تحلّموا من الأمانات.

الرابع: ظهور الخرافات والبدع المستمدّة من الثقافات الصينيّة في اعتقاد المسلمين وعباداتهم، وذلك لتأثرهم البالغ بالثقافات الصينيّة المختلفة.

وهذه الأمور أثارت خوف نخب العلماء المسلمين ذوي المهمة العالية والذين يجيدون العلوم الشرعيّة والثقافات الصينيّة على مستقبل الإسلام وأبناء المسلمين في الصين، فهبّ البعض منهم لإنشاء الحلقات التعليميّة في المساجد التي سُمّيت فيما بعد بالتعليم المسجديّ، الذي لعب دوراً مهماً في إعداد المعلّمين المتمكّنين وحماية الثقافة الإسلاميّة من التلاشي بين أبناء الصين المسلمين، وما زال اليوم يؤدّي دوراً لا يستغنى عنها، وعلى رأس هؤلاء العلماء خو دينغ جوو، حيث ابتدأ بإقامة الحلقات التعليميّة في بيته، فانتقلت إلى المساجد، ثمّ أصبحت طريقة متّبعة في تعليم العلوم الشرعيّة في أنحاء الصين. ونخصّ بعضهم الآخر لتأليف المؤلّفات باللغة الصينيّة وترجمة الكتب الإسلاميّة بغيةً لإصلاح أوضاع المسلمين من جهة، ومن جهة أخرى لعرض حقيقة الإسلام على غير المسلمين الذين أساءوا فهمها لعدم توقّر الكتب الإسلاميّة باللغة الصينيّة وتقصير أئمة المسلمين في الدعوة، فبرع جماعة منهم في التأليف والترجمة وأثمرت جهودهم ثماراً مرضية، وعلى رأسهم وانغ داي يو وما جو وليو جي، وسمّي هؤلاء العلماء في قطاع الدراسة العلميّة في الصين اليوم بـ "العلماء المسلمون الكونفوشيوسيون".¹¹

ثانيًا: حاجة تكييف الثقافة الإسلاميّة لأوضاع المجتمع الصينيّ

نشأت في المجتمع الصيني فلسفات أو نظريّات مختلفة من قديم الزمان، مثل الكونفوشيوسيّة والطاويّة والموهية وغيرها، وانتشرت في أرجاء الصين، وخاصة الكونفوشيوسيّة حيث حظيت بتأييد مؤرّر من حكومة أسرة خان¹² باعتبارها فلسفة

رسميّة تبني عليها توجيهات الأفكار وسياسات الحكم، فضربت جذورها في نفوس الشعب وأصبحت فلسفة سائدة في المجتمع الصيني، ثمّ نشأت الفلسفة المثاليّة للكونفوشيوسيّة في أسرتي سونغ مينغ ونالت تقديرا عاليا من قبل حكومة أسرة مينغ فجعلتها أصلا في توجيه الأفكار وصياغة السياسات، فأصبحت فلسفة سائدة في ذلك العصر، لذلك فإنّ الثقافات الدخيلة على المجتمع الصيني تتأثّر بها عفويّا أو إلزاميّا¹³، ولحماية هويّة الثقافة الإسلاميّة في الصين من انصهارها كليّا في الثقافات الغالبة في المجتمع الصيني وضمان نشرها بين أبناء المسلمين خاصة وبين أهل الصين عامة سار تحبّب العلماء المسلمين على منهج خاصّ في عرض أفكار الثقافة الإسلاميّة من التوحيد والقيم والأخلاق، حيث عرضوا مفهوم التوحيد على أساس مفهوم التصور الكلي للعالم في الفلسفة المثاليّة للكونفوشيوسيّة، ووظّفوا نظريّة المعرفة في هذه الفلسفة في بيان كينيّة معرفة الله تعالى، ووضّحوا مفهوم الأركان الخمسة على أساس الفضائل الخمس في الثقافة الكونفوشيوسيّة وغيرها، وسيأتي بيان ذلك في موضعها من هذا البحث.

كانت سلطة الملك الحاكم في الثقافات الصينيّة مخوّلة من "السماء" التي كان الصينيون يعتقدون أنّها إلههم، حيث ورد في كتاب قوان تسي "أنّ من حقّ الحاكم الحكيم ستة، وهي الحياة والموت والسعادة والشقاء والعزّة والذلّة"، فإنّ الأمور كلّها خاضعة لإرادة الملك الحاكم بما فيها النظريّات الفلسفيّة والديانات المختلفة، فكانت الديانات في الصين لا بدّ لها أن تتبّع سياسات الحكومة وتخدم رغبات الملك الحاكم، وإن خالفت ذلك أو انحرفت عنه قليلا تحتم عليها مصير التوطين الكليّ أو الفناء التدريجيّ، فكانت الثقافة الإسلاميّة في الصين واجهتها تحديات شديدة، ولتكييف هذه الثقافة الدخيلة مع أوضاع المجتمع الصينيّ تكييفا سليما، وتوجيهها إلى سبيل خدمة سياسات الحكومة آنذاك توجيهها مناسباً، وحمايتها من مصير الفناء والتلاشي في آراض الصين حمايةً حكيمةً،

ذهب العلماء المسلمون إلى وجوب الطاعة للملك الحاكم باعتبارها من متطلّبات طاعة الله تعالى، ويبنّون ذلك وفقاً لرغبة الحاكم.¹⁴

المبحث الثاني: تعريف أشهر العلماء المسلمين الكونفوشيوسيين في

القرن السابع عشر

إنّ ظروف المسلمين في الصين المتقدّم ذكرها أنجبت كثيراً من العلماء المسلمين الذين كانوا يعكفون على خدمة الثقافة الإسلاميّة في الصين، ويُسمّون في قطاع الدراسات العلميّة اليوم بـ "العلماء المسلمون الكونفوشيوسيون". سيتحدّث هذا المطلب عن أشهرهم بحياتهم وأفكارهم التي أثمرتها جهودهم المبذولة من أجل حماية الثقافة الإسلاميّة في الصين.

المطلب الأول: نبذة عن حياة وانغ داي يو وجهوده العلمية

وانغ داي يو عالم مسلم مشهور أدرك عهد أسرة مينغ وعهد أسرة تشينغ، ولد في مدينة نان جينغ عام 1570م، وانحدر من نسب يرجع أصله إلى العروبة، حيث انتقل جدّه الأعلى من المنطقة الغربيّة إلى الصين في عهد حكم الملك المؤسّس لأسرة مينغ الذي استمرّ حكمها من عام 1368-1398م في بعثة دبلوماسية، فأقام فيها، وكان يتقن علم الفلك والتقويم، فعُيّن في منتصف عهد هذا الملك موظّفاً في الإدارة الفلكيّة، ثم مارس أبناؤه هذه الوظيفة بعده باستمرار. درس وانغ داي يو اللغة العربيّة على أيدي أهله، وقرأ عليهم الكتب الإسلاميّة باللغة العربيّة، ولما بلغ العشرين من عمره ووقف على أوضاع المجتمع الذي يعيش فيه وأحوال المسلمين، أيقن بعدم إمكانيّة نشر الثقافة الإسلاميّة في الصين إذا لم يُجدّ لغتها وثقافتها، فبدأ ينكبّ على دراسة الثقافات الصينيّة المتنوّعة، بحيث انتهى الأمر إلى أنّه اشتهر بإجادة الثقافات الأربعة، أي الإسلاميّة

والكونفوشيوسيّة والطاويّة والبوذيّة. اختصّ وانغ داي يو في العلوم الإسلاميّة وبرع في علم المنطق، فتوارد إليه طلاب العلم من أنحاء الصين ليتلمذوا على يديه، ومن أشهر تلاميذه ما جونغ شين ووو تسون تشي ووو جي بيه، ولما سقطت أسرة مينغ وقامت مقامها أسرة تشينغ، اشتدّت أوضاع البلاد، فلجأ وانغ داي يو إلى صديقه ما سيه يوان بالعاصمة بكين، فأقام عنده يعلّم الطلاب حتى وافته المنية عام 1660م.¹⁵

صمّم وانغ داي يو عزمه على نشر الثقافة الإسلاميّة وحمايتها بواسطة عرضها على المسلمين وغير المسلمين باللغة الصينيّة، فصرف جهوده كلّها في التّأليف والترجمة باللغة الصينيّة طوال الحياة، وأثمرت ثمرات علميّة مرضية، وشقّ بذلك طريقا جديدا في مجال نشر الثقافة الإسلاميّة في الصين لم يسبق إليه أحد من قبل، ومن أهمّ ثمرات جهوده العلميّة كتاب "البيان الصحيح للشريعة الإسلاميّة"، فقسّمه المؤلّف إلى قسمين، وتحدّث في القسم الأوّل عن توحيد الله واتباع الرسول باعتبارهما أساسا لمعرفة الله وتطبيق الشريعة بشكل سليم، كما تحدّث عن وحدانية الله والتشبيه والتعطيل في صفاته والقضاء والقدر وخاتمة محمد صلى الله عليه وسلم، ثم انتقل إلى الحديث عن النفس والقلب السليم والحياة والموت والملائكة والشياطين وشؤون الزوجين والعلوم الحقّة وغيرها، بغية لبيان سبيل لمعرفة الله وتجلية النفس، أما القسم الثاني فتناول فيه الحديث عن التصوّر الإسلامي عن الحياة والموت والحياة الدنيا والآخرة وعن الأخلاق، وذلك يتمثل في الحديث عن المبادئ الخمسة وعبادة الله وبرّ الوالدين والطاعة والمسؤولية والصدقة والتضحية وغيرها من الموضوعات كما تناول الحديث عن المحرمات في الشريعة من الربا والخمر وغيرها.

إن وانغ داي يو بصفته رائدا في الدراسات الإسلاميّة في الصين سعى لشرح الثقافة الإسلاميّة على نهج الثقافة الصينيّة خاصّة الكونفوشيوسية الجديدة في عهدي سونغ ومينغ، حيث قام بتوضيح النظرية الإسلاميّة في الوجود والكون والمعرفة بأسلوب جديد غير مسبوق، فوضع أسسا علميّة للفلسفة الإسلاميّة الصينيّة تعبّر عن التكامل والتمازج

بين الثقافة الإسلامية والثقافة الصينية، فقد أشاد بجهوده العلماء لاحقاً قائلين: "إنه وضح ما لم يوضحه الأوائل، وجاهر بما لم يجرؤ من يعاصره على النطق به، فازداد نور العلم إشرافاً".¹⁶ فبذلك قدّم لنشر الثقافة الإسلامية في الصين مساهمات عظيمة، على سبيل المثال إنه وضع المفاهيم المحورية الثلاثة: "الواحد الحق" و"الواحد العددي" و"تحسّس الواحد"، أما على صعيد الكونيات فيرى أن الواحد الحق هو الوجود المطلق، وأن الواحد العددي أصل كل الموجودات، ويبيّن ذلك بأسلوب الفلسفة الصينية، حيث قال: "التايجي (القطب الأعظم) يُولّد الين واليانغ، والين واليانغ يُولّدان الأشكال الأربعة، والتايجي هو قانون الكون الذي أقامه الله، ثم تجسّد في شكل السماوات والأرض".¹⁷ وأما في أصول الدين فجعل علم التوحيد محوراً يقوم عليه شرح الفلسفة الإسلامية وأصول العقيدة وأحكام العبادات والأخلاق، مما وضع أسساً علمية لعلم الأصول الإسلامي الصيني.¹⁸

مما يحمل التنبيه إليه أن وانغ داي يو بلغت منه الثقافة الصينية خاصة الكونفوشيوسية الجديدة في سونغ ومنينغ كلّ مبلغ، فاجتهد في بيان محتويات الثقافة الإسلامية على منهج الكونفوشيوسية الجديدة والتوفيق بينهما، وذلك من خلال توظيف بعض المصطلحات الصينية أو تأسيس بعض المصطلحات الأخرى من قبله في إخضاع محتويات الثقافة الإسلامية للكونفوشيوسية الجديدة أحياناً، مما أدى إلى خروجها عن معانيها الحقيقية، مثلاً: استخدم المصطلح الصيني في بيان خلق الكون "التايجي" بمعنى القطب الأعظم الذي يمثّل أصل الكون كبذرة تحوي كل شيء، كما استخدم المصطلحين "الين واليانغ"، وهما صفتان جوهريتان لكل شيء تلعبان دوراً مهماً في تحقيق التوازن بين الشين المتضادين المتكاملين، مثل الحركة والسكون، والليل والنهار، والنور والظلام وغيرها. يبدو لي أن وانغ داي يو كان يقصد بهذا المسعى عرض الثقافة الإسلامية

بأسلوب يقارب فهم أبناء الصين خاصة غير المسلمين منهم، ولكنه سلك عن المنهج السليم البسيط مع حسن النية.

المطلب الثاني: نبذة عن حياة ما جوو ودوره العلمي

اسمه باللغة العربية يوسف، وُلد في عام 1640م بمدينة باوشان بمقاطعة يوننان، وانحدر من السلالة الخامسة عشرة لأمير شيانيانغ سعيد شمس الدين، ونشأ في أحضان الفقر المدقع، حيث توفي والده شي كونغ وهو في السابعة من عمره، ثم تكفّله جده الذي كان يحبه حبًّا جمًّا، فانتقل إلى رحمة الله، فتحملت والدته السيدة وو عياله هو وأخيه، تعيش على غزل النسيج وزراعة الحقل، حتى وافتها المنية وهو في الثامنة عشرة، على الرغم من هذه الشدائد، أتاحت له فرصة لطلب العلم، فحصل على شرف "شيو تساي" (شهادة المرحلة الإعدادية آنذاك) وهو في السادسة عشرة، وعُيّن بعد عامين من ذلك موظفًا صغيرًا في بلاط الإمبراطور يونغ لي.

عقب سقوط حكم يونغ لي باليونان عام 1659م، عاش على التدريس، وألّف خلاله كتاب "سجلات تشانغ تشياو" الذي طواه الزمان، وكان عمره عشرون ربيعًا، وتوقع فتنة من حركات وو سانغوي باليونان عام 1669م، فغادرها عبر قويتشو وخنان إلى بكين حيث التقى عباقرة الإسلام، فتحوّلت اهتماماته من الدراسات الأدبية إلى الدراسات الدينية، مسطرًا فصحة جديدة في حياته. ثم تحوّل في أنحاء البلاد رحلة علمية، والتقى بصفوة العلماء واستمع منهم وتبادل معهم الأفكار، هكذا أفنى عمره في سبيل دراسة الثقافة العربية حتى وافته المنية زهاء عام 1711م.¹⁹

جهود ما جوو العلمية تتمثل في كتاب الهداية الإسلامية، فبذل في سبيل جمع معلوماته أقصى الجهود، وقطع إخراجَه من عمره ثلاثين عاما، وانتهى الأمر بوضعه بين أيدي القراء عام 1707م، يحتوي على ثمانية مباحث موزعة على أصول التوحيد من

معرفة الله والقضاء والقدر والجنة والنار، وعلى العبادات من الصلاة والصيام والزكاة، وعلى آداب المعاملات وحماية الأطفال من الذوبان وغيرها من الموضوعات المختلفة، بحيث جمع أفكار الثقافة الصينية التقليدية المتمثلة في الكونفوشيوسية مع نقدها، ثم يعيد صياغتها على منهجه الخاص ليوّفّق بينها وبين الثقافة الإسلامية، وفكرة التوقيف تتجسد في الجانبين التاليين:

أحدها: دمج العقيدة الإسلامية في نظرية المثالية الموضوعية الكونفوشيوسية، حيث يقبل نظرية التايجي (القطب الأعظم) للفلاسفة الكونفوشيوسيين القائلة بأن الكون يحتوي في العناصر الخمسة، والعناصر الخمسة تحتوي في الين واليانغ، والين واليانغ يحتويان في التايجي، وتصدر التايجي من الوجودي (المصدر المطلق)، لكنه يؤكد أنه لا يوجد قبل الوجودي والتايجي إلا الله القادر المطلق، الذات الخالق للكون والإنسان.

والآخر: توظيف المصطلحات الكونفوشيوسية الجديدة في بيان طريقة تزكية النفس وتهذيب الأخلاق في الثقافة الإسلامية، مثلاً: "قه وو" بمعنى استقصاء الأشياء والتأمل فيها لتحقيق الفهم التام، و"تشونغ لي" بمعنى استكشاف ما تنطوي عليه الأشياء من القوانين الحقة، و"جيه جيه" بمعنى رفع الحجاب عن النفس وإيقاظ المعرفة الفطرية، لأن من عرف نفسه عرف الخالق، وتأمّل حركات الإنسان وسكناته يُثبت كمال صفات الرب.

المطلب الثالث: نبذة عن حياة ليو جي ودوره العلمي

ليو جي من أشهر العلماء المسلمين في عهد أسرة تشينغ، اسمه باللغة العربية محمد نور الحق، ولد في عام 1655م، وكان أبوه ليو سانجيه ممن ذاع صيته وطال بابه في العلوم الإسلامية، فتعلم منه منذ نعومة أظافره القرآن الكريم، ثم انكبّ على قراءة الكتب الكونفوشيوسية وهو في الخامسة عشرة من العمر، وتعلم اللغتين العربية والفارسية فأحسن

دراستهما، واجتهد في دراسة العلوم الإسلامية، بحيث تنقل بين البلدان الصينية التي كان يقنط فيها كبار العلماء المسلمين آنذاك من بجين شاندون وخيهنان وغيرها، ليستفيد منهم ويناظرهم في المسائل المختلفة وليجمع المعلومات الدينية، وقضى في ذلك سنوات مديدة من عمره، ثم لما كبرت سنه أقام في مدينة نانجين منكبًا على التأليف ونشر الثقافة الإسلامية، فأنت جهوده بثمرات وافرة من التأليفات والترجمات، مثل كتاب اللطائف الذي تمت ترجمتها إلى اللغة العربية، وكتاب الشريعة الإسلامية الذي تناول فيه أحكام العبادات والمعاملات، وكتاب سيرة النبي الذي أصله من الفارسية وغيرها يبلغ عددها سبعة تأليفًا وترجمة، فلذلك حظي بتقدير عظيم من قبل العلماء اللاحقين، قال ما ليانيوان: "لو لا ختم المصطفى عليه السلام لكان بالصين نبيًا".^{20 21}

يُعتبر ليو جي عالما متقنا للعلوم الإسلامية في الصين، أسّس فلسفة دينية إسلامية خاصة، حيث دمج العقائد الإسلامية التقليدية وعلم اللاهوت الصوفي بفلسفة الكونفوشيوسية المتعلقة بالطبيعة والإنسان والقدر بالإضافة إلى بيان المعرفة الطبيعية في العالم العربي والغربي، قسّم ليو جي الكون إلى العالم الكبير-أي الطبيعة أو عالم المادية- والعالم الصغير-أي الوعي أو عالم الروحانية، وذلك لشرح كيفية تكوّن وتطوّر الطبيعة وأسرارها وفهم تداخلها، بناء على هذه الأسس تحدث عن أصول العقيدة الإسلامية وأثبتها باستخدام مفهومات ومنهجيات الكونفوشيوسية الجديدة في سونغ ومينغ.^[22]

يبدو أن أفكار ليو جي في التوفيق بين الثقافة الإسلامية والثقافة الصينية تتجلى في الناحيتين التالية:

إحداها: الحديث عن عقيدة خلق الله الكون بمنهجية فلسفية كونفوشيوسية، حيث تحدّث أن الله خالق للكون والإنسان، ومتنزه عن الصور، ولكنه يتجلى في التاجي، وانقسمت التاجي فنشأت منها اليين واليانغ، فمنهما تتولد السماوات والأرض، فكانت المخلوقات كلّها.

الأخرى: دمج مبدأ التوحيد الإسلامي بالفلسفة الكونفوشيوسية، حيث شرح نظرة الإسلام في الوجود والكون والمعرفة بشكل شامل، مستوحيا من نظرية رسم التاجي الصينية، فابتدع منظومة معقّدة لرسم الطبيعة والمبادئ الإسلامية ذي الطابع الصيني المميّز، فأثرى بذلك الفلسفة الإسلامية الصينية.

المبحث الثالث: المسائل التي تظهر فيها معالم الاتجاه التوفيقى عند العلماء المسلمين الكونفوشيوسيين

لنشر الثقافة الإسلامية وعرضها على أبناء الصين بأسلوب سهل ومقبول من قبلهم، عمد العلماء المسلمون الكونفوشيوسيون إلى توظيف المصطلحات أو الأفكار الفلسفية الصينية في بيان معاني المعتقدات الإسلامية، مثلاً: استخدموا الفكرة الفلسفية الصينية "الووجي والتاجي" وغيرها لبيان أصل الكون، والفكرة "فضائل الكونفوشيوسية الخمس" في بيان أركان الإسلام الخمسة وغيرها، فهذا المطلب سيتناول الحديث عمّا يظهر اتّجاههم التوفيقى بين الثقافة الصينية والثقافة الإسلامية من المسائل المهمة كما ورد في السطور الآتية.

المطلب الأوّل: في بيان أصل الكون

إن الفلسفة الكونفوشيوسية الجديدة ترى أن أصل الكون هو الووجي، حيث ورد في كتاب شرح رسم التاجي "أن الذات التي يحملها "السماء" ويديرها، لا صوت لها ولا رائحة، لكنها في الحقيقة المحور الرئيس لوجود جميع المخلوقات، والأساس الجوهرى لكل الكائنات، لذلك يُقال: "الووجي يُولد منها التايجي. هذه الفكرة لا يقصد بها وجود الووجي كياناً منفصلاً عن التايجي، فحركة التايجي تُنشئ اليانغ، وعندما تبلغ الحركة ذروتها تتحوّل إلى السكون، والسكون يُنشئ اليين. وعندما يبلغ السكون ذروته، يعود إلى الحركة

مرة أخرى، الحركة والسكون يتّخذ كلّ منهما الآخر أصلاً له؛ وبذلك تتمايز الين واليانغ، فتقوم عندئذٍ اليانغ يي (السموات والأرض). إنّ الحركة والسكون في التايجي ذاته هو تجسيد لتدفق وتجلي القضاء الإلهي الذي لا ينقطع، وهذا هو ما يقصده كتاب التغيرات بقوله: التعاقب المستمر للين واليانغ هو ما يُسمى بالطاو؛ بوجود التايجي، يتم من خلال تفاعل الحركة والسكون تمايز الين واليانغ؛ وبوجود الين واليانغ، يتم من خلال التغير المتبادل والتجاذب بينهما تكوين العناصر الخمسة الأساسية؛ والعناصر الخمسة ترجع في جوهرها إلى تفاعل الين واليانغ؛ والين واليانغ يرجعان في وحدتهما إلى التايجي؛ والتايجي يعود في أصله إلى الوجودي.²³

استخدم العلماء المسلمون الكونفوشيوسيون لبيان أصل الكون في الثقافة الإسلامية فكرة كون الوجودي تولد منها التاجي، ومن التاجي تولد الين واليانغ، ومنهما تولد العناصر الأربعة، مع إضافتهم إلى ذلك أن الوجودي والتاجي ليستا أصلاً نهائياً للكون، بل هما من الله تعالى وهو أصل الكون، حيث قال وانغ داي يو: "قيل إن التايجي تولد منها الين واليانغ أو السموات والأرض، ومنهما تولد العناصر الأربعة. إن هذا كلّ من خلق الحقّ الواحد."²⁴ أثبت أن الكون من خلق الله تعالى، لا من خلق الوجودي كما ورد في الفلسفة الكونفوشيوسية الجديدة، والوجودي مراده في رأيه أصل محمد صلى الله عليه وسلم، والمخلوقات كلّهم من نوره، قال: "خلق الله روح محمد صل الله عليه وسلم قبل خلق المخلوقات بما فيها السموات والأرض، وهو ما يسمّى بالوجودي في الفلسفة الكونفوشيوسية الجديدة."²⁵

وقال ما جوو: "لكن جميع المخلوقات لا تستطيع القيام بذاتها، فهي حتماً تتوقّف على السموات والأرض؛ والسموات والأرض تنبثقان عن التايجي، والتايجي تنبثق عن الوجودي، والوجودي من خلق الحقّ الواحد. والحقّ الواحد هو الخالق المدبّر الذي أوجد الكلّ."²⁶ أما ليو جي فشرح أصل الكون في كتاب اللطائف بأسلوب قائم على أساس

رسم التّاجي مع الإضافات والتّعديلات، حيث أتى بالرسوم الكثيرة تبين التّاجي والووجي لإثبات كون الحق الواحد قبلهما.

المطلب الثاني: توحيد بين معنى "السماء" والله وبين معنى "الحكيم" ومحمد في الإسلام

إنّ "السماء" الذي تطلق عليه في اللغة الصينية الكلمة "天" وتنطق ب"تيان" يحمل في الثقافة الصينية معاني كثيرة، ذهب العلماء المسلمون الكونفوشيوسيون إلى أن ما تحمله أقوال الكونفوشيوس والكتب الكونفوشيوسية من الأفكار دلّ على وجود الله تعالى، ولكن أحاط بها كثير من الغموض واللبس فلم توفّق في بيان المراد الحقّ، فرأوا أن المقصود بـ "السماء" في الثقافة الكونفوشيوسية هو الله الذي خلق السماوات والأرض، وكذلك رأوا أن المقصود بـ "الرجل الحكيم" في الثقافة الكونفوشيوسية رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، وليس شاكياموني بوذا في الثقافة البوذية.

قال ما جوه في كتاب الهداية الإسلامية: "الكونفوشيوسية معرفتها بخالق الكون شابها غموض ولبس مع اعترافها بوجوده، والطاوية لم تكن معرفتها بخالق الكون بدقيقة مع إقرارها لوجوده، والبوذية لا تقرّ وجود خالق الكون، واعتبرت نفسها خالقا. قال الكونفوشيوس: لم تكن عندي حيرة وأنا في الأربعين، وتبينت بأمر السماء وأنا في الخمسين. إن المقصود بالسماء في قول كونفوشيوس السماء الذي يطلق على خالق السماوات والأرض، لا السماء التي تعلو على الإنسان والمخلوقات، إذ ضلّ الناس في فهمها، وإنما أطلق كونفوشيوس بالسماء على خالق السماوات والأرض لشرفه وتعظيمه، لو كان المراد بها السماء التي تقابل الأرض، فلماذا لم يقل إني تبينت بأمر الأرض وعظمتها." 27

قال ليو جي: "الإله المذكور في التراث الصيني الكلاسيكي من ديوان القصائد الكلاسيكية وديوان الوثائق القديمة هو الله المذكور في الإسلام، ووجدت في الكتب التاريخية أن الملوك كانوا مخلصين في عبادة هذا الإله، وأطلقوا عليه السماء، والمراد بها الإله المعبود، وليس بالسماء المترامية أطرافها والمشاهدة أشكالها في أنظار الإنسان. ولم يرد في ديوان القصائد الكلاسيكية سبب تسمية المعبود بالإله، وسمّي منذ عهد كونفوشيوس وتلميذه منشيوس بالسماء، فالسفهاء من الناس لم يفهموا مرادها الحق، فظنوا أنه السماء المشهودة."²⁸

تبين مما سبق أن العلماء المسلمين الكونفوشيوسيين قاموا بربط المصطلح في الثقافة الصينية "السماء" بالمصطلح الإسلامي "الله تعالى"، حيث رأوا أن القدامى الصينيين يعرفون وجود الإله، ويسمونه بالسماء، ولكن لم يتّضح مرادها عندهم والتبس عليهم، ومرادها الحقيقي الله سبحانه وتعالى. وذلك فيما أرى لأنهم كانوا ينوون مقارنة هذا المصطلح الإسلامي من فهم أبناء الصين، وتقليص المسافة بين الثقافة الصينية والثقافة الإسلامية ليقبلوا عليها، كما رأيت ذلك في أقوالهم في التوفيق بين المراد بالرجل الحكيم في الثقافة الكونفوشيوسية وبين الرسول، قال وانغ داي يو بعد ذكر قول كونفوشيوس في المعربِ رَجُلٌ لَمْ يَسُسِ الدَّوْلَةَ فَاسْتَقَرَّتْ الدَّوْلَةُ، وَلَمْ يَنْطِقْ فَأَمَنَ النَّاسُ طَوْعًا، وَلَمْ يُعْلَمَ فَطُبِقَتْ شَرَائِعُهُ تَلَفَافًا، يَا لَهُ مِنْ عَظِيمٍ رَحْبٍ، حَتَّى عَجَزَ الرَّعِيَّةُ عَنْ وَصْفِ جَلَالِهِ، أَرَى أَنَّهُ حَكِيمٌ. "إنّ الدعوة إلى المراتب الاجتماعية والفضائل الأخلاقية من رسالة الرجل الحكيم، ولكن البوذية تدعو إلى التقليل من شأن الملك والوالد والمتقدم في السن، وإلى عدم الزواج، وذلك يعرقل تكاثر النسل ويخالف مغزى عمارة الأرض، ولذلك فإنّ الرجل الذي اعتبره كونفوشيوس حكيماً لم يكن شاكياموني بوذا، إذ حمل كونفوشيوس نفسه القضاء على ما يخالف المراتب الاجتماعية والفضائل الخمس، فمن المحال أن يعتبره حكيماً."²⁹ وقال ما جو لما سئل عن كون المقصود بالرجل الحكيم في كلام كونفوشيوس

بوذا: " هذا الرأي خطأ ومن آراء السفهاء، ولا يجوز أن يقال في حق الحكيم مثل القول. إذ إنّ الإسلام تتابع الرسل في الدعوة إليه بعد آدم عليه السلام، وكونفوشيوس حكيم الكونفوشيوسية، ولد بعد وجود السماوات والأرض... وقد بيّن المراتب الاجتماعية والفضائل الأخلاقية وغيرها من الأمور ذات الشأن، فإن كان الحكيم الذي ذكره كونفوشيوس بوذا لكان من الخطأ الفاحش.³⁰

اتضح بعد النظر في هذه الأقوال أنّ العلماء المسلمين الكونفوشيوسيين ذهبوا إلى كون المقصود بالرجل الحكيم المذكور في تراث الثقافة الصينية محمدا صلى الله عليه وسلّم، وليس شاكياموني بوذا كما زُعم، إذ رأوا أن الدعوة إلى المراتب الاجتماعية والفضائل الأخلاقية التي عرفت بالمراتب الثلاث والفضائل الخمس من رسالة كل الحكماء أي بمعنى الرسل في الثقافة الإسلامية، وأن ما دعا إليه بوذا يخالف لهذه الرسالة، وكان كونفوشيوس يسعى إلى القضاء على ما يخالفها من مثل هذه الأفكار، فمن المستحيل أن المقصود بالحكيم في أقوال كونفوشيوس بوذا، بل هو محمد صلى الله عليه وسلم، هكذا أطبقوا معنى الحكيم في الثقافة الصينية على الرسول في الإسلام.

المطلب الثالث: الاعتراف بكون كونفوشيوس من النبيين

رأى العلماء المسلمون الكونفوشيوسيون أن أقرب الديانات الصينية إلى الإسلام هو الكونفوشيوسية، وحكمائها ممن أرسلهم الله تعالى بالرسالة، ومن الدرجة الرابعة من درجات الرسل التي انقسمت في رأيهم إلى أربع درجات، وكانوا يتكلمون بعلم الكشف، ولن ينطقوا بعلم الوحي. قال ليو جي: " إن الإسلام أقدم الأديان، ومن عاش في غابر الزمان بقي دينهم على ما ينبغي عليه من الأصالة، ومن عاش في حديث الزمان، فقد ضاعت أصالة دينهم... الأباطرة الثلاثة والملوك الخمسة في الصين عاشوا في غابر الزمان، فاحتفظت ديانتهم بشيء من الأصالة، فهي أقرب الأديان إلى الإسلام من

غيرها، ومن جاء بعدهم من الخلف فقد ابتعدوا عن الأصالة، حيث ابتدعوا في ديانتهم بدعا أحالتها عن ديانة أسلافهم. " يبدو أن ليو جي رأى الكونفوشيوسية أقرب الديانات الصينية إلى الإسلام بالمقارنة مع الديانات الأخرى، إذ أنها احتفظت بشيء من الأصالة، فلذلك ذهب بعض العلماء المسلمين الكونفوشيوسيين إلى أن الحكيم كونفوشيوس من الموحى إليهم بطريقة الكشف، حيث قال وانغ داي يو: " أمرُ الله في الإسلام ما أوحى الله تعالى إلى محمد صلى الله عليه وسلّم عن طريق الملك جبريل عليه السلام من الأوامر الشرعية، فهي تنقسم إلى ثلاث مراتب، الإيحائية والإلهامية والكشفية، أما الإيحائية فهي ما يحمل العلامات الظاهرة والحكم البالغة والأحكام الشرعية، وليس بتنبؤات قائمة على الشعور، وبعبارة أخرى إنّها ما نزل الله تعالى على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم من الآيات التي بلغ عددها 6666 آية.... وأما الإلهامية فهي ما يتلقاه أحد من الله تعالى في المنام، مثل ما رأى الحكيم قوانغ دي في المنام رجلين صالحين يؤيّدانه فوجد فونغ خوو ولي مو.... وأما الكشفية فهي انفتاح القلب للأمر، مثل ما انفتح قلب كونفوشيوس لفهم أمر السماء وهو في الخمسين من عمره.... أمر الله بثلاثة أنواعه إنّما يكون لجعل الإسلام كاملا، أما في الديانات الأخرى فهو لم يَعدُ الإلهامية.³¹

تبين مما سبق ذكره أنّ رأى العلماء المسلمين الكونفوشيوسيين في كون كونفوشيوس من الأنبياء قائم على أساسين، أحدهما: أن الكونفوشيوسية احتفظت بالأصالة، حيث أنّ الناس الذين كانوا يعتنقون بها من الأباطرة والملوك عاشوا في غابر الزمان، فلم يسمح لهم الزمان أن يُحدثوا فيها بدعا، أما الديانات الأخرى فضاعت أصالتها، إذ طال عليها الأمد، فحصل عليها أمور حديثة ليست منها في شيء، وكونفوشيوس ممن تحمّس للدعوة إلى هذه الديانة، فكان ممن أقرب إلى الإسلام؛ والآخر: أن الله أنزل أمره إلى الأنبياء عن ثلاثة طرق، الوحي والإلهام والكشف، فما قاله كونفوشيوس من الحكم والأقوال ممّا فتح

الله عليه في قلبه، وهو في الحقيقة نوع من الوحي، حيث قال: "وتبينت بأمر السماء وأنا في الخمسين".

المطلب الرابع: التوفيق بين أركان الإسلام الخمسة وفضائل الكونفوشوسية

فضائل الكونفوشوسية الخمس أعطتها الثقافة الصينية اهتماما عظيما، بحيث عدّتها قاعدة ذهبية متينة مسيطرة على تهذيب أخلاق الإنسان وضبط علاقاتهم وإصلاح أحوال المجتمع، ألا إنها "الرين"، "الييه"، "الليه"، "الجييه"، "الشين"³²، فسار عليها المجتمع الصيني منذ القديم، ويحثّ عليها اليوم بمختلف المستويات والأساليب. العلماء المسلمون الكونفوشوسيون على رأسهم وانغ داي يو عرفوا بها مضمونا ومكانة حق المعرفة، فربطوها بأركان الإسلام الخمسة مع تضمينها المعنى الإسلامي الجديد لعرضها على أبناء الصين ولبيان وظيفتها في تركية النفس وإصلاح المجتمع، قال وانغ داي يو: "الفضائل الخمس في الإسلام: الشهادة، الزكاة، الصلاة، الصوم، الحج".³³ ثم تحدّث عن هذه الفضائل بالمقارنة لفضائل الكونفوشوسية الخمس لإقامة العلاقة بينهما ولإيجاد بيئة سهلة لنشر الثقافة الإسلامية في الصين، حيث قال: "إن الفضائل الخمس في الدين الحقّ: الرين هو ذكر الله شكرا على خلقه، والييه هو العطاء للأموال المستخلقة من الله، والآداب هي الشكر لنعم الله، والحكمة هي إثبات وحدانية الله، والصدق هو الإيمان الجازم بأوامر الله، فتلك الفضائل الخمس تنبثق منها كل العلاقات بين الحاكم والمحكوم، والوالد والولد، والزوج والزوجة، والإخوة، والأصدقاء".³⁴

تبيّن مما سبق ذكره أن "وانغ داي يو" إنما استعار أسماء المفهومات الصينية لبيان معنى المفهومات الإسلامية مع الإضافات والتعديلات، فنزعها من مضموناتهما الأصلية وألبسها ثوبا جديدا وضمّنها معان إسلامية جديدة، لذلك إن الفضائل الخمسة عنده تختلف عن الفضائل الخمسة في الكونفوشوسية مضمونا، وإنما فعل ذلك لعرض

المفهومات الإسلامية على أبناء الصين بأسلوب مقبول من قبلهم، ولنشر الثقافة الإسلامية في بيئة غريبة عنها، ولبيان التشابه بين الثقافتين الصينية والإسلامية، ولو كان ظاهرياً، إذ كان يعيش في عهد ازدهرت فيه الأفكار الكونفوشيوسية الجديدة، وابتعد المسلمون عن ثقافتهم لأسباب كثيرة، حتّى تعذر عليهم فهم الثقافة باللغة العربية بعدما كانوا يفهمونها من الكتب العربية.

الخاتمة والتوصيات

توصّل البحث بعد دراسة الأوراق العلمية المتعلقة بالموضوع من المؤلفات والمجالات دراسة استقرائية تحليلية إلى نتائج علمية كلها منصّبة في بيان مشكلات البحث، حيث إن المصطلح "العلماء المسلمون الكونفوشيوسيون" في مجال الدراسة الإسلامية الصينية يقصد به هؤلاء العلماء المسلمون الذين نشأوا في الثقافة الصينية ورسخوا فيها، حتى بلغت منهم مبلغها، وأجادوا الثقافة الإسلامية فصار لهم فيها باع طويل، ثم سعوا لخدمة الإسلام والمسلمين وغيرهم في الصين بترجمة الكتب العربية إلى الصينية أو تأليف الكتب باللغة الصينية مع توظيف بعض المفهومات أو المصطلحات الكونفوشيوسية في بيان المفهومات الإسلامية، منهم هؤلاء العلماء "وانغ داي يو"، "ما جوو، ليو جي". إنّما سلكوا هذا المسلك لدفع ما يحمل في نفوسهم من تبعة نشر الثقافة الإسلامية وحمايتها من الذوبان في الثقافة المحلية في تلك الظروف التي ضعف فيها المسلمون في الصين سياسياً وثقافياً، وهدايتهم إلى الهدى الحق، ولذلك نخض هؤلاء العلماء المسلمون الكونفوشيوسيون بشرح الهدايات الإسلامية باللغة الصينية ترجمة وتأليفاً، فأنجّوها في سبيل ذلك أنجّأها خاصّاً يُترجم في بعض المسائل التي اهتموا بها، مثل بيان أصل الكون، وإطلاق السماء في الثقافة الكونفوشيوسية على الله تعالى، والاعتراف بكون الكونفوشيوس من الأنبياء، والتوفيق بين أركان الإسلام الخمسة وفضائل الكونفوشيوسية الخمس.

بذل العلماء المسلمون الكونفوشيوسيون من أجل نشر الثقافة الإسلامية وحمايتها أقصى الجهود، فأنتت بثمرات كثيرة، ولكنّ بعضها لم تتخلّ من الأفكار غير السليمة، خاصة جهود العلماء الذين بلغت أفكار الكونفوشيوسية منهم مبلغا، فالأمر يتطلب من العلماء المسلمين المتخصّصين دراسة هذه الجهود دراسة علمية منهجية وفقا للمناهج الإسلاميّة، كما يقتضي منهم تعاوننا مخلصا شاملا من قبل العلماء في الصين والعلماء في العالم الإسلامي هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن جهود العلماء المسلمين الكونفوشيوسيين لم يلق حتى اليوم من العلماء في العالم الإسلامي دراسات علمية متعمّقة، بل لم يعطوها ما تستحقّه من الاهتمام، بسبب العائقة اللغوية أو انشغالهم بدراسة الشؤون السياسية والاقتصادية عن دراسة الشؤون الدينية وغيرها.

الهوامش:

- 1 ما وين بينغ، دراسة في اتّجاه التّوفيق بين الإسلام والكونفوشيوسية: رأي وانغ داي يو وليو جي أنموذجا، مجلة المسلم الصيني، العدد الثاني، 2020، ص 43-44؛ دينغ يو مبي، مفهوم التّوفيق بين الإسلام والكونفوشيوسية، مجلة الأديان الصينيّة، العدد الرابع، 2021، ص 76-77؛ جي فانغ تونغ، معنى التّوفيق بين الإسلام والكونفوشيوسية، مجلة المسلم الصيني، العدد الخامس، 2021، ص 25-27.
- 2 ينظر: جين قانغ، العلماء المسلمون الكونفوشيوسيون والعلماء المسيحيون الكونفوشيوسيون في الصين، أطروحة الدكتوراه بجامعة شان دونغ، العام 2009، ص 3-4.
- 3 أسرة تانغ الملكية أسسها الملك لي يوان عام 617م، ووقعت عاصمتها في مدينة تشانغآن، واستمرّ حكمها إلى عام 907م على أيدي اثنين وعشرين ملكا.
- 4 أسرة سونغ الملكية أسسها الملك جاو كوانغ بين عام 960م، ووقعت عاصمتها في كاي فونغ، وبقي حكمها إلى عام 1279م مروا على أيدي ثمان عشرة ملكا.
- 5 أسرة يوان أسسها الملك هو بي ليه المنغولي عام 1271م، ووقعت عاصمتها في مدينة بيجين، وهي أول أسرة ملكية أسّسها قومية غير قومية هان، وتداول حكمها على أيدي ثلاثة عشر ملكا باقيا في أراض الصين إلى عام 1368م.
- 6 ينظر: باي، شيو بي، تاريخ المسلمين في الصين، دار الشعب للطباعة والنشر، مقاطعة نينغ شيا، 199م، ص 110-123؛ وما، بينغ، تاريخ الإسلام المختصر في الصين، دار الشعب للطباعة والنشر، مقاطعة نينغ شيا، 2001، ص 5-90.

- 7 أ أسرة مينغ من الأسر الملكية الصينية، وأسسها جو يوان جانغ عام 1368م، واستمر حكمها إلى عام 1644م على أيدي ستة عشر ملكاً، وورد في بعض المصادر التاريخية أن مؤسس هذه الأسرة مسلم، وأثبت ذلك المؤرخ المسلم باي شيو يي مستدلاً بأدلة، منها أنه كان يكفن جثمان والديه عند الدفن، وأن زوجته مسلمة وغيرها.
- 8 باي، شيو يي، تاريخ المسلمين في الصين، ص124-129.
- 9 يو جين قوي، سجل نصوص الأنصاب الحجرية لقومية هوي، دار الشعب للطباعة والنشر، مقاطعة نينغ شيا، 2001، ص50.
- 10 جاو تسان، سلسلة العلماء المسلمين، دار الشعب للطباعة والنشر، مقاطعة تشينغ هاي، 1989، ص 1.
- 11 ينظر: يو جين قوي، الحكومات الصينية والإسلام في تاريخ الصين، دار الشعب للطباعة والنشر، مقاطعة نينغ شيا، 1996، ص139-141.
- 12 أسرة م الأسر الملكية في تاريخ الصين، وأسسها ليو بانغ في عام 202ق.م، واستمرّ حكمها في آراض الصين حوالي 400 على أيدي 29 ملكاً.
- 13 ينظر: تشينغ يو جين، موجز في الثقافات الصينية، دار الطباعة لتعليم اللغات الأجنبية ودراساتها، بكين، 2017، ص91-101؛ جين قانغ، العلماء المسلمون الكونفوشيوسيون والعلماء المسيحيون الكونفوشيوسيون في الصين، ص29-35.
- 14 ينظر: جين قانغ، العلماء المسلمون الكونفوشيوسيون والعلماء المسيحيون الكونفوشيوسيون في الصين، ص58-60.
- 15 ينظر: باي شيو يي، سير الأعلام المسلمون في عهد أسرة تشنغ، دار الشعب للطباعة والنشر، نينغ شيا، 1992، ص33-34؛ ولي شينغ هوان، تاريخ الإسلام في الصين، دار العلوم الاجتماعية للطباعة والنشر، بكين، 1998، ص555-556.
- 16 يانغ، كه لي وغيره من المؤلفين، الموسوعة الإسلامية الصينية، دار سيتشوان لطباعة ونشر المعاجم، سينتشوان، 2007، ص585.
- 17 ينظر: وانغ، داي يو، العلم الأكبر في الإسلام، دار الشعب للطباعة والنشر، مقاطعة نينغشيا، 1996، ص390-391.
- 18 يانغ، كه لي وغيره من المؤلفين، الموسوعة الإسلامية الصينية، ص586.
- 19 باي، شيو يي، سير الأعلام المسلمون في الصين، العدد الثاني، ص926-929.
- 20 ما، ليانيوان، شرح على اللطائف، دار النشر مجهولة، مقاطعة يون نان، 1902، ص2.
- 21 ينظر: باي، شيو يي، سير الأعلام المسلمون في الصين، المجلد الثاني، ص935-945؛ وجي، فانغ دونغ، دراسة على كتاب اللطائف ترجمة وشرحاً، دار الأديان للطباعة والنشر، بكين، 2022، ص2-6.
- 22 ويانغ، كه لي وغيره من المؤلفين، الموسوعة الإسلامية الصينية، ص321.

- 23 جوو، دون يي، شرح رسم التاجي، تض: تشينغ كه مينغ، دار الكتب الصينية، بكين، 1990، ص3.
- 24 وانغ، داي يو، البيان الصحيح للشريعة الإسلامية، شرح: يو جين قوي، دار الشعب للطباعة والنشر، مقاطعة نينغشيا، 1999، ص38.
- 25 المصدر السابق، ص92.
- 26 ما، جوه، الهداية الإسلامية، ترقيم: يو جين قوي، دار الشعب للطباعة والنشر، مقاطعة نينغ شيا، 1988، ص77.
- 27 ما، جوه، الهداية الإسلامية، ص71.
- 28 ليو جي، الشريعة الإسلامية، شرح: نا وون باو، دار القوميات للطباعة والنشر، مقاطعة يو نان، 199م، ص95.
- 29 وانغ، داي يو، البيان الصحيح للشريعة الإسلامية، ص33.
- 30 ما جوه، الهداية الإسلامية، ص37.
- 31 وانغ، داي يو، البيان الصحيح للشريعة الإسلامية، ص94.
- 32 هذه الفضائل الخمس باللغة الصينية: 仁、义、礼、智、信، وتنطق على حدة Ren、Yi、Li、Zhi、Xin، وتترجم عادة ترجمة صوتية، الشين، الجيه، الليه، البيه، والرین، الكل منها يحمل معنى خاصا، الرین: محبة الغير والرحمة؛ البيه: العدل والملائمة؛ الليه: مبادئ المعاملات؛ الجيه: ملكة التمييز بين الأشياء؛ الشين: الصدق والثقة.
- 33 وانغ، داي يو، الأعمال الثلاثة لوانغ داي يو، ترقيم: يو جين قوي، دار الشعب للطباعة والنشر، نينغشيا، 1987، ص278.
- 34 وانغ، داي يو، البيان الصحيح للشريعة الإسلامية، ص477.

Grant Support: The author declares that this study has received financial support from The National Social Science Fund of China, under the project 23BZX057, as a mid-term result.